تفسير سورة البقرة الحلقة ١٧

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٢٩)**

**المفردات**

الاستواء: التسلط والإحاطة الكاملة والقدرة على الخلق والتدبير.

الله سبحانه وتعالى فرض سلطته وقدرته على السماوات والأرضين، ثم لا تعني التأخير ثم استوى هل تعني أنه أولا خلق الأرض ثم جاء للسماء و سواها سبع سماوات أم لا هل هناك فرق زمني أم لا؟

يقولون لا، لا تعني التأخير الزماني وإنما تعني التأخير في بيان الحقائق الله سبحانه وتعالى عندما يحكي ويبين فضله وأنه عمل كذا وصنع للإنسان كذا وكذا وكذا فهو من باب تعدادها وليس من باب ترتيبها الزماني وقال البعض أنه لا أن هناك ترتيب زماني في خلق الخلق ليس بينه بين الأرض والسماء ترتيب الزماني ولكن في دحو الأرض هناك ترتيب دحي الأرض وهكذا.

السماء: السماوات جهة العلو ولها مصاديق مختلفة كلمة سماء تعني العلو مصاديقها مختلفة بعضها تشير إلى العلو القريب وبعضها للعلو البعيد وبعضها للأبعد والأبعد **"مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ"** فرع الأشجار في السماء أين تكون السماء؟

يعني في العلو القريب يعني أعلى رأس الإنسان فهنا إشارات إلى العلو ولكن العلو القريب وليس البعيد وهناك علو أكثر بعدا مثلا أنزل من السماء ماء السماء تنزل الماء من أين الماء؟ من الغيوم الغيوم موضعها في السماء المعروفة وإشارات هناك لأبعد وأبعد كما مثلا في قوله **"يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ"** إشارة إلى استحالة النفود من أقطار السماوات والأرض وهنا السماوات يختلف المعنى عن السماء التي تنبت فيها الشجرة بل أبعد حتى من الكواكب وهكذا معنى السماوات مختلفة ويأتي فيها أيضا بيان آخر.

**البيان**

الآية مواصلة لما مر من بيان حقيقة الإنسان وما خلق للإنسان و سخره الله للإنسان فسخر للإنسان الأرض وما فيها وسخر له السماوات وتبين الآيتان الآية التي مرت **"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ"** إلى آخر الآية وهذه الآية تبينان أن الإنسان في مراحله كلها هو جزء من الأرض ويعود إلى الأرض ولا تباين بين الإنسان وبين الأرض ومما سخر للإنسان الوجود بأكمله كل شيء في الوجود سخر للإنسان لماذا ؟

لأنه الخليفة الحقيقي الذي يشكل خلافة الله سبحانه وتعالى كما يقول تعالى **"سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ"** كل شيء في السماوات والأرض سخره الله للإنسان ربما يأتي التساؤل كيف سخر ما في السماوات و المجرات والأفلاك التي لا زالت لم تكتشف.

قوله تعالى: **"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا"** كل شيء في الأرض هو من أجل الإنسان حقيقة خلق من أجل الإنسان وكرامة الإنسان.

قوله تعالى: **"ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"** الاستواء للسماوات وتكوينها بسبع سماوات هو من أجل الإنسان الله سبحانه وتعالى كانت سماء واحدة ثم غيرها فاستوت سبع سماوات بتفصيل فصلها الله سبحانه وتعالى، كما يقول تعالى **"سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ"** هنا كل الكلام على أن كل شيء في الوجود مسخر للإنسان مسخر للإنسان الأرض واضحة أنها للإنسان مسخرة ما في السماوات أيضا للإنسان وآيات كثيرة تدل على أن كل شيء مسخر كما يقول تعالى **"وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ … وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ** **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"**

كل شيء مسخر للإنسان مما يستنتج وهو واضح أن الأفضل في هذا الوجود هو الإنسان إذا كان كل شيء في الوجود من الأرض وما فيها والسماوات وما فيها كل شيء كل شيء في هذا الوجود ما تستطيع فرضه هو من أجل الإنسان إذا الإنسان هو الأفضل وهو المقدم وكما يستنتج أيضا أن السيادة على هذه الكواكب للإنسان الكواكب وما فيها السيادة للإنسان ربما يجر الكلام أبعد بحيث أنه لا يستوعبه البعض أن السيادة الإنسان حتى تكون حتى على الملائكة الإنسان له السيادة على كل ما هو موجود في الوجود في السماوات وما في الأرض ويستنتج أيضا وجوب شكر المنعم وطاعته وعدم العصيان **"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"** و الآية التي افتتحنا بها الكلام الآن أيضا تتحدث على أن الإنسان هو مخلوق يعني تأمل أيها الإنسان في وجودك كيف تكفر أنت لم تكن موجود ثم وجد هل تستطيع أن تقول أوجدت نفسك؟

لا يستطيع لا يستطيع أحد ولا يستطيع أن ينكر أنه لم يكن موجود كل شخص يستوعب أنه ما كان موجود ثم صار موجودا يستوعب هذا وإذا لم يستوعب هذا يستوعب أنه سوف يموت مات من قبله مات أبوه مات جده مات الناس فلابد أن يستوعب من الذي تصرف وفصل الروح عن الجسد تقول حادث تقول عملية تقول كذا الإنسان جالس مستقر وإذا هو ميت ينبئ ويوحي ويؤكد أن هناك سلطة خارجة عن الإنسان وهو الله سبحانه وتعالى إذاً لابد أن يؤمن الإنسان أن كل شيء خلق من أجله وأن الخالق ليس هو الخالق لنفسه إنما الخالق جهة أخرى وهو الله سبحانه وتعالى الذي سخر كل شيء للإنسان لم يكن العلم بهذا المستوى الآن تقدم العلم علم الناس أن الكواكب لها آثار مع الأرض إنبات النبات في الأرض الكواكب لها أثر خروج الماء من الأرض الكواكب لها أثر جميع ما يتصور باستقرار حياة الإنسان مرتبطة بين السماء والأرض إذاً الإنسان يعلم أن هذا الارتباط ولم يكن يعلم به إلا بعد التطور العلم والقرآن أنبأه بذلك وأن كل شيء هو من الله سبحانه وتعالى وجعل للإنسان.

سؤال: السماوات أنه ما هو التسخير كيف سخر السماوات والأرض كيف سخرت للإنسان؟

الأرض سخرت معلوم وواضح نبات وكذا وإلى آخره كيف سخرت السماوات ربما يستنتج المستنتج بعض الأمور كما ذكر بعض المفسرين أنه سخرها الله كعلامة ودلالة عقائدية للإنسان حتى يؤمن بالله سبحانه وتعالى وربما يستنتج التأثير الموجود بين السماوات والأرض وربما يكون عقله أوسع من ذلك فيستنتج أن الله سخرها بمعنى جعلها مهيئة للاستفادة وعلى الإنسان أن يهتدي لكيفية الاستفادة ، كمن مثلا جيء له بأجهزة الكترونية أو كذا وهو لا يعلم قيل له هذه لك استفد منها يقول لا أعلم يقال له تعلم الله سبحانه وتعالى سخر السماوات والأرض الأفلاك الجميع ما في السماوات التي ما علم منها لازال كما يقولون هو في السماء الأولى الدنيا والسماوات الأخرى لا يعلم به أحد كيف سخرت وكيف يستفيد منها سخرت جعلت له قابلا للتسخير والاستفادة لا يعلم بها جعل الله له طريق العلم والاكتشاف و غير ذلك وجعل له طريق أسهل وأوضح وهم الأنبياء والرسل .

أمير المؤمنين سلام الله عليه كان يقول:« اسألوني عن طرق السماء فأني أعلم بها من طرق الأرض» لو كان الناس يحاولون الاستفادة من الأنبياء والرسل لاستفادوا.

السؤال الأخير: ما حقيقة السماوات؟

قال بعض المفسرين:

1. أنها السيارات السبع عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل والقمر والشمس قال البعض هكذا.
2. قال آخرون: أن المقصود بها الطبقات المتراكمة للغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية هذه الطبقات قال البعض أنها سماوات.
3. وقالوا أيضا: أن العدد السبعة إنما يراد به الكثرة وليس السماوات هي سبع سماوات وإنما للكثرة الكثيرة أشارت إلى السماوات.

هل استعمل الله رقم سبعة للكثرة؟

قيل نعم، ومنه قوله تعالى**" وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ"** سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله لو كانت ثمانية تنفد كلمات الله؟

أكيد الرقم للكثرة فقالوا أيضا أن هنا إشارة للكثرة لكثرة السماوات وكثرة الكواكب و كثرة الطبقات.

1. إن المقصود بالسماوات السبع بهذا العدد سماوات حقيقية دلت على ذلك الروايات وتكرار هذه العبارة في القرآن وفي الآيات المباركة، ويستفاد من الآيات من آيات أخرى أن كل الكرات والسيارات المشهوده هي جزء من السماء الاولى من السماء الدنيا وهناك ستة عوالم أخرى يستفاد ان هذه ما نراه هو في السماء الأولى وهناك سماوات أخرى غير هذه السماء الأولى من ذلك ما يستوحى في هذا المجال قوله تعالى **"زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ"** زينا السماء الدنيا يعني وجود المصابيح في السماء الدنيا، ما هي المصابيح؟

هي الكواكب والمجرات التي تعكس الضوء كلها في السماء الدنيا وقوله تعالى **"إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ"** الله زينها بزينة الكواكب فالكواكب زينة وهي في السماء كلها في سماء واحدة، إذاً السماوات السبع هي غير هذه التي نراها من مما فيه كواكب أو مجرات أعلى وأعلى بكثير ويذهب إلى ذلك الإمام الراحل رضوان الله عليه وسيد الطباطبائي وشيخ ناصر وغيرهم من المفسرين.

و الحمد لله رب العالمين